

الكتاتيب القرآنية: صراع بين البقاء والزوال

Quranic Schools: a Struggle between Survival and Extinction

بن قليل حليم

جامعة محمد البشير الإبراهيمي، برج بوعرييج (الجزائر)، halim.benguellil@univ-bba.dz

تاريخ النشر: 2025/01/31

تاريخ القبول: 2025/07/25

تاريخ الاستلام: 2025/01/14

ملخص:

التربية والتعليم من أهم ركائز بناء الدول والمجتمعات وازدهارها، وكذا من عوامل النهضة العلمية والفكرية، تهتم بهما مؤسسات تعليمية مختلفة من أهمها الكتاتيب القرآنية. أدت هذه الأخيرة منذ عقود طويلة دورا بارزا في تربية وتعليم الأجيال وتخرج نخب علماء الدين والدنيا، لأنها لازالت القلب النابض والحصن المنيع للأمة العربية والإسلامية، ولكن في ظل التطور التكنولوجي والاجتياح الثقافي التغريبي في أوساط الناشئة أصبحت تصارع من أجل البقاء إثر الدعوات المغرضة التي تنادي بضرورة التخلي عنها والقضاء عليها بشتى الطرق، وادعائها بأن المدارس القرآنية ما هي إلا وكر للمذهبية والطائفية والتطرف. لذلك، استوقفنا هذا الموضوع بالدراسة والتساؤل عما إذا كانت هذه الحصون متجهة نحو الإحياء والاستمرارية، أم أنها هالوية في غياهب الزوال والانحدار؟

كلمات مفتاحية: الكتاتيب القرآنية؛ التربية؛ التعليم.

Abstract:

Education and upbringing are key pillars for building and flourishing nations and societies and factors of scientific and intellectual development. They are supported by different educational institutions, namely Quranic schools. For decades, these schools have significantly raised and educated generations and produced elite groups of religious and worldly scholars as the beating heart and stronghold of the Arab and Islamic nation. Yet, in light of technological development and Western cultural invasion among youth, they are struggling to survive amidst insidious calls to abolish them, claiming they are breeding grounds for sectarianism, denominationalism, and extremism. Therefore, our study explores whether these strongholds are heading toward revival and continuity or are sinking into the abyss of collapse and extinction?

Keywords: Quranic Schools; Education; Upbringing.

1. مقدمة:

كان التعليم ولا يزال سراج الأمة العربيّة الذي تستضيء به في عتمة الجهل والتّخلف، وهو المطلب الشريف الذي يسعى إلى ارتقائه كل إنسان طامح بكل ما أوتي من عزيمة وقوّة، لينتقل من ظلمة الانحطاط والعجز نحو الرّقيّ والتطوّر، فالتعليم مفتاح المستقبل الزاهر للبلدان العربيّة على اختلاف الأسس التي يستند إليها التعليم، والتي يصبوا من خلالها إلى ولوج عالم النور والتطور والازدهار والرّقي، من بين هذه الأسس المتينة (الكتاتيب) التي تمثّل الشعاع الذي يمدّ مجتمعاتنا بأوكسجين الخير والبركة والتّفع، وبها يشرق شمس الرقي والازدهار، لكن هذا المشروع الذي لا زال متعثراً أمام التعليم الغربي الذي تغلغل في أوساط مجتمعاتنا العربيّة كالسم المدسوس في العسل، والتّقط أوهامة قلّة من ضباع الغرب لخفة عقولهم وغفلة قلوبهم، جعلنا نفتح حى هذا الموضوع بالدراسة والتحليل.

2. المدلول اللغوي والاصطلاحي للكتاتيب:

1.2. لغة:

- ورد في معجم لسان العرب لابن منظور: والمكْتَبُ: موضع الكتاب، والمكْتَبُ والْكُتَابُ: موضع تعليم الكتاب، والجمع الكتاتيب والمكاتب. (ابن منظور، 1414 هـ، صفحة 499)

- وورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: الكاف والباء والتاء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء من ذلك، الكتاب والكتابة، يقال كتبت الكتاب أكتبه كُتُبًا. (ابن فارس، 1979، صفحة 158)

ذكر أحمد مختار عمر في معجمه اللغة العربية المعاصرة: كُتَابٌ (مفرد) جمعه كُتَاتِيْبٌ: مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن "اعتاد صبيان القرية الذهاب إلى الكتاب. (أحمد، 2008، الصفحات 1903-1904)

من خلال التمعن في التعاريف اللغوية نجد أنها تكاد تتفق جميعها على أن مفهوم الكتاتيب في اللغة يشير إلى المكان الذي يجتمع فيه الصبية من أجل أن يتلقوا العلم والمعرفة.

2.2. اصطلاحاً:

تتعدد التعريفات المنسوبة للكتاتيب وتتنوع على حسب تنوع اتجاهات أصحابها ومنطلقاتهم الفكرية غري أن الناظر في التعريفات المنسوبة إلى الكتاتيب يجدها تتقارب فيما بينها من حيث وظائف الكتاتيب وغاياتها وسنحاول في هذا المقام أن نورد مجموعة من التعريفات الملحقة بمفهوم الكتاتيب:

- لفظة كتاب يقابلها في مناطق أخرى كلمات "كالمسيد" في الجزائر العاصمة... إلخ، وهي مراكز صغيرة نسبياً، غالباً ما تتضمن حجرة أو حجرتين مهمتها الأساسية تتمثل في تحفيظ القرآن الكريم الصبيان، وقد تكون ملحقة بمسجد كبير. (تراري، 2001، صفحة 04)

- الكتاتيب عبارة عن مكان مستقل يتسع لمجموعة من الصبيان، وقد يكون غرفة في منزل أو بجوار زاوية أو حجرة ملحقة بمسجد لا داخله خوفاً من النجاسة فالإمام مالك بن أنس رضي الله عنه سئل عن رأيه في تعليم الصبيان في المساجد فقال: «لا أرى ذلك يجوز لأن الأطفال لا يتحفظون من النجاسة، والكتاتيب عبارة عن بناء بسيط واسع مفروش بحصير أو ما شابههما، يجلس عليه الصبيان متربعين حول المعلم الذي يختص بسرير أو كرسي مرتفع». (ديب، 2013، صفحة 04)

- الكتاتيب من أوائل أنماط التعليم وأبسطها وتركز الكتاتيب على تعليم الأولاد مبادئ القراءة والكتابة، بالإضافة إلى حفظ أجزاء القرآن الكريم، والغالب أن تكون الكتاتيب في المسجد، وقد تكون تحت الأشجار أو في سطوح المباني، ويتم التعليم فيها بصورة تقليدية والمعلم هو الذي يتولى الشؤون المتعلقة بالكتاتيب، ويلتحق المتعلمون بالكتاتيب في سن مبكرة جداً، وفي أحيان كثيرة قبل الالتحاق بالمدرسة ومنهم من يواصل التعليم فيها حتى يتم حفظ القرآن. (باهية و برداد، 2016، صفحة 15)

بناء على ما تقدم من تعريفات يمكن القول إن الكتاتيب في مفهومها العام مؤسسات تعليمية ومراكز تربوية يتم بها تلقين الصبية وتعليمهم كتاب الله وسنة نبيه الكريم ومبادئ اللغة العربية وتكون هذه المراكز مستقلة عن المساجد وفي بعض الأحيان ملحقة بها.

3. الكتاتيب إرث تاريخي:

الكتاتيب من المؤسسات التربوية والفضاءات الروحية التي عملت منذ تأسيسها على الاهتمام بتعليم الناشئة وتلقينهم قصد تحقيق مجموعة من الغايات والأهداف اسمها تكوين فرد حافظ لكتاب الله العزيز، ومتشبع بمبادئ القيم الإسلامية، قصد تهيئته للاندماج في المجتمع ليصير عضواً فاعلاً ومنفعلاً فيه، وإذا ما حاولنا أن نتبع النشأة التاريخية للكتاتيب نجد أن وجودها قد كان قبل مجيء الإسلام من خلال تعليم القراءة والكتابة، وبعد الإسلام زيد عليها تحفيظ الأطفال القرآن الكريم، وتعليمهم الدين الإسلامي والخط والحساب ومبادئ اللغة (ديب، 2013، صفحة 03)، ومع توسع الدعوة الإسلامية أصبح الكتاب المكان الرئيسي للتعلم خاصة بانتقال العرب من حال البداوة إلى حال الحضارة، فكانت تعقد الدراسات في المساجد التي ارتفع مستواها مما دفع إلى التفكير في

مكان يتعهد النشء قبل التحاقهم بحلقات المسجد، كما تتحدث بعض المصادر عن حرص الخلفاء المسلمين على تعليم أولادهم وأبناء المسلمين، حتى أن شأن الكتاب علا وبلغ أوج عزه وازدهاره خاصة في العصر العباسي، حيث ظهر نوعان من الكتاب، منها ما كان خاصاً بأبناء سواء الشعب وبعضها مخصص لأبناء الطبقة العليا، كما كان الآباء ينشئون لأبنائهم الكتاتيب ويتفقون مع معلمها على الأجر كما يتم الاتفاق على ما يجب أن يتعلمه أبناءهم. قال محمد عبد القادر بن أحمد: «كان بعض الأغنياء والأمرء يتطوعون للإنفاق على الكتاتيب وإجراء الأموال عليها لتسمر في تعليم أبناء المسلمين». (العايب، 2005، الصفحات 26-27)

وعلى العموم فإن الكتاتيب قد لعبت طيلة مراحل نشوئها وازدهارها عبر مختلف المراحل التاريخية دوراً بارزاً وعظيماً في المحافظة على الثقافة العربية الإسلامية وعلى الموروث الإسلامي الديني، وكذا الحفاظ على لسان القرآن الكريم وذلك من خلال ما كانت تنير به عقول الناشئة من رحاب كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بسان عربي مبين.

4. مميزات التعليم الكتابي:

للتعليم الكتابي مجموعة من السمات والخصائص التي يمتاز ويتفرد بها عن غيره من المؤسسات والحواضر العلمية الأخرى، وسنحاول في هذا السياق أن نورد مجموعة من الخصائص التي يمتاز هذا النوع من التعليم، نذكر منها: (تراري، 2001، الصفحات 05-06)

- إمكانية التعليم الكتابي لجميع أفراد الفئات الاجتماعية بما فيها الغنية والفقيرة.
- شعبية التعليم الكتابي، معناه أن هذا التعليم مرتبط بمناطق ظهور التجمعات السكانية مهما كان مستواها الاقتصادي.
- التعليم الكتابي نابع من حاجات المجتمع المحلي فهو بذلك نابع من مبادرات شعبية.
- ارتباط التعليم الكتابي في نشأته وتطوره بالمجتمعات العربية الإسلامية، حيث كان الكتاب وسيلة حيوية من أهم وسائل تحفيظ القرآن الكريم.
- الكتاب مؤسسة متواضعة من حيث المظهر الخارجي إلا أن الطريقة التربوية التعليمية بها عرفت نجاحاً كبيراً وخير دليل على ذلك ظهور العلماء الأجلاء وحفظ القرآن الكريم تلقوا تعليماً بهذه المؤسسة الدينية. (تراري، 2001، الصفحات 05-06)
- تقوم طريقة التعليم في الكتاب على التلقين والحفظ والتكرار وتعرف في علوم التربية الحديثة بالتعليم اللفظي الذي يركز دوره أساساً على الذاكرة. (العايب، 2005، صفحة 28)

إن هذه الخصائص التي يتمتع بها التعليم الكتابي جعلت منه فضاء تعليميا تربويا بامتياز، إذ يمكن عده من أهم المرافق التربوية التي عرفها العالم العربي والإسلامي نظرا للخدمات الجليلة التي قدمتها في سبيل المحافظة على الإطار العام للشخصية العربية الإسلامية على مر التاريخ.

5. أهمية الكتابات القرآنية:

لعبت الكتابات على مدى عقود طويلة دورا بارزا في إفراز أجيال لامعة، تمخضت عنها نخبة متميزة من العلماء الأجلاء أمثال الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ الطيب العقبي والشيخ أحمد حمّاني... وغيرهم من جهاذة علماء الدين والدنيا، ونظرا لأهميتها ف: (الحكيري، 2017)

- الكتابات أداة للتنوير الديني وتحفيظ القرآن، وتكوين خلفية قرآنية في عقول الناشئة.
- الكتابات وسيلة لتربية الأجيال والمحافظة على طابع الهوية الإسلامية واللغة العربية.
- الكتابات مرتكز لنشر الإسلام وتعاليمه؛ إذ لم يقتصر دورها على تلقين القرآن وتحفيظه وتجويده فحسب، بل ساهمت في تأديب الناشئة وتأهيلهم وتكوينهم دينيا وإعدادهم لخوض مختلف غمار الحياة.
- تعدّ الكتابات مدرسة حافظت على اللغة العربية؛ حيث تساعد الكتابات في تقويم النطق وصل اللغة وتقوية مخارج الحروف، مع سرعة وقوة الحفظ واستيعاب العديد من الألفاظ وتنمية الرصيد اللغوي لدى الناشئة، أضف إلى ذلك أنها تعلّم الطفل الكتابة والإملاء حسب ما يقتضيه الرسم القرآني ليصبح قادرا على إنتاج جمل في قالب فيّ صحيح.
- الكتابات تمنح الناشئة الموروث الثقافي والإسلامي واللغوي العريق، مما يمنحه استراتيجية متوازنة تعتبر مخرجا للحدّ من ظاهرة خطر الإرهاب والتطرف الفكري وحمايته من براثن العنف والانحلال الأخلاقي...
- الكتابات قناة تواصل بين الماضي والحاضر؛ لإحياء تراث مديد متجذر في أعماق التاريخ العربي الإسلامي.
- تعدّ الكتابات منارة معرفيّة وعلميّة أنارت ما حولها لتُخرّج لنا كوكبة من الطّالّاب البارزين في الثقافة والأدب والشّعْر والخطابة والطّب والفلك والهندسة...، ذوو أفكار صحيحة، وعقول نيرة، ونفوس طامحة، وعزائم صادقة، وألسن صقيلة، وأقلام كاتبة...

إنّ هذه الأهمية التي تسمو وتحظى بها الكتاتيب القرآنية كقيلة بأن تجعل من المجتمعات العربية تنشأ أجيالا تحفظ عرى الإسلام، ومجد العروبة، وعزّ الأمة من خطر الغزو التغريبي العلماني الذي يسعى بكلّ ما أوتي من قوة لتجفيف منابع التدين.

6. وظائف الكتاتيب القرآنية:

تكتسي الكتاتيب أهمية بالغة كونها قائمة على تحفيظ كتاب الله تعالى، وكذا المحافظة على الهوية العربية الإسلامية، وهذه الأهمية لم تنسب لها من فراغ وإنما جاءت نتاج للأدوار والوظائف الكبيرة المرتبطة بالكتاتيب، ويمكن أن نصنف أهم هذه الوظائف فيما يلي:

1.6. الوظيفة الدينية: تتمثل الوظائف الدينية للكتاتيب فيما يلي:

- الحرص على زرع روح الاعتصام بحبل الله عز وجل لدى الأطفال.
- تجسيد روح الإيمان لدى الأطفال حول مراقبة الله عز وجل لأعمالهم. (هنانو، 2016، صفحة 48)

- تحفيظ الناشئة القرآن الكريم والرسم القرآني، وكذلك التربية الدينية وحفظ الأحاديث وأداء الصلوات الخمس وتنشئتهم على حسن الأخلاق. (عومري، 2016، صفحة 13)
- 2.2. الوظيفة التربوية: تتمثل الوظائف التربوية للكتاتيب فيما يأتي:

- تعليم الأطفال القراءة والكتابة وذلك تمهيدا لتهيئة الأطفال لحفظ القرآن الكريم وإجادة رسمه، فالقراءة والكتابة لم تقصدا لذاتيهما وإنما كما قال تركي رابح: "إن تعليم القراءة والكتابة للأطفال في الكتاتيب لم يكن مقصودا لذاته، وإنما كان يتخذ وسيلة فقط، لكي يستطيعوا قراءة القرآن الكريم من الصحف، وكتابته في اللوح دون أخطاء إملائية". (العايب، 2005، صفحة 28)

- إكساب الطفل بعض المفاهيم والمبادئ والاستعدادات التي تهيئه للتعليم الدراسي.
- العناية بذوي القدرات والمواهب والعمل على اكتشاف ما لديهم من طاقات ومواهب كامنة. (هنانو، 2016، صفحة 48)

3.6. الوظائف الاجتماعية: تسهر الكتاتيب على أداء مجموعة من الوظائف الاجتماعية نذكر منها:

- المحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، وذلك بالحفاظ على أهم مقومات البقاء والاستمرارية للثقافة والشخصية الوطنية الجزائرية.

- ضمان إكساب المجتمع الحد الأدنى من الثقافة العامة والموحدة، والتي لها تأثير مباشر على بقاء واستمرارية مختلف النظم الاجتماعية الأصلية. (تراري، 2001، صفحة 05)
- تعميق شعور الأطفال بالانتماء الاجتماعي للمجتمع المسلم وتعزيز انتمائه الوطني.
- تنمية المحبة بين الأطفال وتقوية رابطة الأخوة فيما بينهم (هنانو، 2016، صفحة 48)، وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة الحجرات، الآية 10)
- إن الوظائف التي ذكرناها أنفا لا تعكس كل الوظائف التي تقوم بها الكتاتيب إذ أن هناك وظائف أخرى منها النفسية والاقتصادية والوجدانية التي تسهر الكتاتيب على القيام بها وتوفيرها لطلبتها قصد تهيئة الجو الملائم والأرضية المناسبة لتكوينهم وتعليمهم.

7. الكتاتيب القرآنية بين الواقع المرصود والأمل المنشود:

ترسو سفينة بحثنا إلى محطة بارزة ذات أهمية بالغة، جعلتنا نتساءل عن واقع الكتاتيب في عصر أحاط به الأعداء من كل حذب وصوب! في زمن أصبح فيه الكُتَّابُ في عقر داره غريبا! في زمن استبدل فيه الذي هو أدنى بالذي هو خير! في زمن استبدل فيه اللوح القرآني باللوح الإلكتروني!، لسان حالنا يسأل: الكتاتيب صراع بين البقاء أم الزوال!

في ظل هذا التطور التكنولوجي والانفتاح الثقافي التغييري الذي اجتاحت البلدان العربية والإسلامية وتغلغل في أوساط الناشئة أصبحت حصون الأمة الإسلامية (الكتاتيب القرآنية) تصارع من أجل البقاء بعدما أصبحت قاب قوسين أو أدنى من الاضمحلال والزوال، إثر الدَّعوات المغرضة التي تنادي بضرورة التخلي عنها بشتى الأساليب والقضاء عليها بمختلف الطرائق، وادَّعائها بأن المدارس القرآنية ما هي إلا وكر للمذهبية والطائفية والتطرف، متسائلين عما إذا كانت هذه الحصون متَّجهة نحو الإحياء والبعث والاستمرارية أم أنها هابوية في غياهب الاضمحلال والزوال والانحدار؟!

1.7. الواقع المرصود: لقد وجهت كثير من المخططات الخبيثة المنظمة للقضاء على الآثار الإيجابية لتلك الكتاتيب في العالم الإسلامي عموما...، حتى أصبح الكتاب مهددا بالانقراض التام بل والانقراض...، ومن أبرز ما يهدد صرحها وكيانها كما تشير ليلي بيومي إلى أن: «عشرات من الأناشيد والأغاني والرسوم المتحركة والقصص قد احتلت مساحة كبيرة من عقول الأطفال الناشئة وذلك على حساب حفظ القرآن الكريم في تلك المرحلة العمرية الهامة والحيوية والتي تستوعب حفظ ملايين من الكلمات. وقد نجد أطفالا قد أتموا حفظ أجزاء كبيرة من القرآن الكريم قبل دخول المدرسة وخصوصا في الكتاتيب، ويعرف الجميع دور الكتاب أو مكتب تحفيظ القرآن الكريم على

مستوى القرى والأحياء الشعبية في حفظ القرآن ونشره في بلادنا على امتداد القرون الطويلة» (بيومي، 1427 هـ)؛ مفسرة «انشغال الطفل بالقصص والأناشيد والأغاني أو حتى بلغة أجنبية أخرى كما يحدث الآن يؤدي إلى تشتيت الطفل وإحداث خلل في منظومته العلمية والثقافية» (بيومي، 1427 هـ)، لذا فإن للكتاتيب أهمية دون غيرها من المؤسسات التعليمية الأخرى كونها قائمة على تحفيظ القرآن الكريم بشكل جماعي يساعد على سرعة الحفظ والاستيعاب ويؤكد علماء التربية أن حفظ القرآن في المرحلة العمرية الصغيرة؛ حيث تساعد الكتاتيب في تقويم النطق وصقل اللغة وتقوية مخارج الحروف، مع سرعة وقوة الحفظ واستيعاب العديد من الألفاظ وتنمية الرصيد اللغوي لدى الناشئة...

وفي ظل العولمة المفحمة بالعلمانية وجهت كثير من المخططات الخبيثة المنظمة سهامها للقضاء على الآثار الإيجابية لتلك الكتاتيب وذلك عن طريق الدعوة لإغلاقها وأضعاف دورها وإهمالها وقطع المعونات المادية عنها وعدم العناية بمقارها ومحفظها؛ حتى يكون ذلك ذريعة للتخلص منها، وتأتي ضربات تلك المخططات من عدة نواحي أبرزها المد الثقافي الغربي الذي سخر بثقافته- بعض وسائل الإعلام وبعض الأقلام للنيل من صورة (الشيخ مُحَفِّظُ الكتاب) وتصويره في القصص والروايات، وكذلك في الأفلام والمسلسلات بشكل هزلي. فهذه رواية عميد الأدب العربي التي نشرت في سنة (1954م) وتحولت بعد ذلك للكثير من الأعمال التليفزيونية، وقد صورت شيخ الكتاب بذلك الضير، البدين، الكذاب، ذو الصوت القبيح، المتعجرف، غليظ القلب، سليط اللسان...، كما يتضح من رواية: (سقوط النور) لمحمد إبراهيم طه، أو هو الشيخ (كفته) ذو الوجه المنتفخ، المذموم من قبل الأطفال والذي يتعامل بالفلكة والخيزرانة كما جاء في رواية (السقامات) ليوסף السباعي (فتحي، 2018)؛ تلك هي صورة من قال عنه المصطفى صلى الله عليه وسلم: [خيركم من تعلم القرآن وعلمه]، في الإعلام، إلى متى سنظل نياما عن الحقيقة ومنساقين كالأغنام وراء أجهزة الظلام؟! أما عن واقع الكتاتيب اليوم عندنا في الجزائر خصوصا فإنها تصارع من أجل البقاء، بعد ما أصبحت قاب قوسين أو أدنى من الزوال، وبالرغم من أنها موروث حضاري وإسلامي نفتخر به إلا أن الكثيرين باتوا ينادون بضرورة التخلي عنها وإحاقها بالمدارس الإعدادية، لأنها أصبحت -كما يدعون- وكرا للمذهبية والتطرف، بل ومنبتا للإرهاب، عكس ما كانت تقدمه بالأمس من علماء دينٍ ودنيا -كانوا ومازالوا- القلب النابض للأمة. كان من الصعب الوقوف على وجود كتاتيب لتعليم القرآن في العاصمة تقوم على الحفظ والتلقين التقليدي المعمول به منذ القدم، فقد حلت محلها مدراس قرآنية أخرى تقوم على طرق جديدة وتسير وفق برامج حديثة مثل وضع أقسام نظامية من

أجل تدريس مناهج الفقه وأحكام التجويد، عكس ما كانت عليه في الماضي، أين كان طالب العلم يلتزم بقواعد أخرى سواء في السلوك أو المنهج... (عزوز، 2017)

وتفاقت مخاوف السلطة من نشاط الكتاتيب والمدارس القرآنية، مع تنامي تغلغل مختلف الأفكار والمذاهب الدينية في الجزائر، خاصة وأن نشاطها، منذ نشأتها أثناء الحقبة الاستعمارية إلى غاية الآن، ظل بعيدا عن رقابة السلطة، مما سمح لبعض الناشطين في السنوات الأخيرة بتوظيفها في تسويق أغراض وتصورات دينية، باتت تشكل عاملا مقوضا للاستقرار الديني والأيدولوجي (بليدي، 2017)؛ إذ يرى البعض مَن يتزعم أنه أهل الاختصاص أنّ مشروع تنظيم التعليم القرآني، يصطدم بالعديد من المعوقات، يأتي على رأسها الصراع المبطن بين وزارة الشؤون الدينية والأوقاف من جهة، ووزارة التربية من جهة أخرى، حول نوايا الاستحواذ على المشروع، لأغراض تستند إلى خلفيات أيديولوجية، بين تيار الإصلاح والمحافظين. وكان الطرفان قد تلاسنا في وقت سابق حول مردودية ونجاعة التعليم القرآني في البلاد، مثال ذلك ما اهتمت وزيرة التربية نورية بن غبريت، خريجي الكتاتيب بـ (الضعف التحصيلي ومحدودية النتائج المحققة)، حيث رد عليها وزير الشؤون الدينية الأسبق محمد عيسى عكس ذلك وأنّ نتائج الامتياز المحققة في مختلف الأطوار التعليمية، حُققَت من طرف تلاميذ تلقوا تعليمًا في المدارس والكتاتيب القرآنية. (بليدي، 2017)

2.7. آفاق واستشراف لحاضرنا: في خضمّ ما تعيشه أمتنا من تقلّبات وتغيّرات، وانتشار الفتن في المجتمعات انتشار النار في الهشيم، فإنّنا نقف حائرين وتائهين متسائلين: أين السبيل؟ وأين النجاة؟ لا ندري أيّ وجهة نسلكها، وأيّ طريقة ننتهجها، ثمّ سرعان ما يتجلّى لنا ذلك النور الذي لا ينطفئ، ونبصر وجهته التي لا نضلّ فيها، ألا وهي وجهة القرآن الكريم والسنة النبوية الكريمة، فنسارع إلى رحابهما لتنقيتهما من ظلالهما ونقتبس من أنوارهما...

وأمام هذا الواقع المريع وأمام هذه التحديات إلا أنّ آمالنا قاطبة تبقى حاملة إلى التطلع والاستشراف بقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: [الخيرُ فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة]، وقوله عليه الصّلاة والسّلام: [مثلُ أمتي مثلُ المطر، لا يُدرى أوّلُهُ خيرٌ أم آخره]، مؤمنين بأنّه: [لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقّ لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك]، وأدلّ دليل على قولنا ما نراه من كتاتيب تزين أرض الجزائر حيث وصفها الشيخ البشير الإبراهيمي: «نجوم متألفة في ليل الجزائر الحالكة، منها الكبيرة والصغيرة، ولكل واحدة حظها من اللألاء والإشراق، وقسطها من الإضاءة لجانب من جوانب هذا الوطن الذي طال في الجهل ليله وأقام بالأمية ويله» (الإبراهيمي، 1997، صفحة 258). يرتادها كثير من أبنائنا وما نراه من تشجيع العائلات الجزائرية، خاصة خلال السنوات الأخيرة، لأبنائنا إلى تلك المدارس والكتاتيب خلال العطل الدراسية الرسمية، من أجل

حفظ القرآن وتعلم أصول الدين ليكونوا -على لسان الشيخ بن باديس- «دعائم هذا البناء التي تمسكه أن يزول، وتصونه أن يختل أو يحول، فهم أشبال الغاب وحماة الثغور، عمار المدارس، وسقاة المغارس، مربوا الجيل وأئمتهم، وأبنائنا المعلمون المستحقون لأجر الجهاد، وشكل العباد، الصابرون على عنت الزمان، وجحود الإنسان...» (وزارة الشؤون الدينية، 1406هـ/1985م، صفحة 261)

8. خاتمة:

في الختام؛ لقد آن الأوان لإعادة الاعتبار للمدارس القرآنية بصفتها مؤسسة تربوية تعليمية دينية، متأصلة في المجتمع الجزائري، فلا يمكن الاستغناء عنها وعن خدماتها، وخصوصا في ظل العولمة التي صارت تعصف بهويات البلدان الضعيفة، ويكون إعادة الاعتبار لها من خلال الاهتمام بها وإحيائها وفرض الغبار عنها وتحديثها من نواحي عديدة، ويتحقق كل هذا بما يلي: (ساقني و ساقني، 2018، الصفحات 239-236)

- اهتمام الدولة بالمدارس القرآنية من ناحية تحديث بنائها، وترميمها حتى تبعث فيها الحياة من جديد. وكذا مراقبتها ومرافقة مناهج التعليم فيها.
- ضرورة الاهتمام بشكل جدي بتكوين معلمي المدارس القرآنية على أعلى مستوى، وتحفيزهم وتقديم الدعم المادي والمعنوي لهم، من أجل ضمان تعليم جيد ومتكامل، وبالتالي ضمان طالب ناجح بأتم معنى الكلمة.
- إضافة آليات وبرامج جديدة للتعليم في الكتاتيب، يضمن مسيرة تطورات العصر ومتطلباته، لكي يكون الطالب على علم ودراية بواقعه ومحيطه، وبالتالي يكون أكثر تأثرا وخدمة لمجتمعه.
- تظافر الجهود بين المدرسة القرآنية والأسرة والأولياء من أجل دعم الطفل ومساعدته على كل صغيرة وكبيرة، وإشباع ما يمكن من احتياجات الطالب الفكرية والنفسية والاجتماعية، من أجل تحقيق الأهداف المختلفة، وتمسكه في الأخير بالمدرسة القرآنية.
- التشجيع على الدراسة في المدارس القرآنية، من خلال تنظيم المسابقات ومنح الجوائز والهدايا والشهادات التقديرية، والتي تساعد الطلبة في حب الدراسة في مثل هذه المدارس.
- إعادة النظر في ملفات المدارس القرآنية وطلبها، ويكون ذلك بمنح الصفة المعنوية لهذه المؤسسات، وضرورة تكوين ملفات للطلبة المتدرسين فيها، وذلك لتحديد نظام لمراقبتهم ومحاسبتهم على الحضور والغياب، والتأخر والانضباط في الوقت.

إن العناية بكل هذه النقاط المعروضة وغيرها يضمن للمدارس القرآنية استمرارية الموجودة منها، وإعادة إحياء التي اندثرت، لكي تعود إلى سابق عهدها، وأدائها للرسالة النبيلة التي كانت تؤديها في المجتمعات الإسلامية، حتى أخرجت لنا جهابذة من العلماء الذين أناروا درب هذه الأمة.

9. قائمة المراجع:

- ابن فارس. (1979). معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، ج. 5. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن منظور. (1414 هـ). لسان العرب، ط. 3، ج. 1. بيروت: دار صادر.
- باهية أمينة، وبرداد كلثوم. (2016). التعليم العربي الإسلامي في غرب إفريقيا من القرن 08 إلى القرن 10 هـ/ 14 إلى 16 م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ. الجزائر: جامعة خميس مليانة.
- بليدي صابر. (08 08، 2017). الكتابات القرآنية في الجزائر.. تعليم ديني مكمل أم مفرخة للتشدد والمذهبية. تاريخ الاسترداد: 23، 01، 2020، من موقع صحيفة العرب: <http://alarab.co.uk>
- بيومي ليلى. (26 ربيع الأول، 1427 هـ). دور الكتابات في حفظ الهوية الثقافية لأبنائنا. تاريخ الاسترداد: 23، 01، 2020، من موقع المسلم: <https://almoslim.net>
- الإبراهيمي أحمد طالب. (1997). آثار الإمام الشيخ البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله: أحمد طالب الإبراهيمي، ج. 3. بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- الحكيري وفاء. (2017). الكتاب، مؤسسة خرّجت علماء. تاريخ الاسترداد: 23، 01، 2020، من مجلة ميم: <http://meemmagazine.net>
- العايب وهيبة. (2005). التربية التحضيرية في المدرسة القرآنية وتأثيرها على مهارتي القراءة والكتابة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات اللغوية التطبيقية. الجزائر: جامعة بن يوسف بن خدة.
- تراري مختارية. (2001). التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية المعاصرة. مجلة إنسانيات، العدد (14-15).
- ديب صفية. (31، 12، 2013). المؤسسات التعليمية في بجاية ودورها التعليمي في عصري الموحدين والحفصيين من القرن (7، 10 هـ/ 13، 16 م). مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، المجلد 05، العدد 02، الصفحات (291-306).
- ساقني عبد الجليل، وساقني محمد. (2018). مناهج وآليات التعليم بالمدارس القرآنية بالتدريكت. مجلة آفاق علمية، المجلد 10، العدد 03.
- عزوز صالح. (03، 07، 2017). الكتابات القرآنية - آخر حصون الأمة في مواجهة خطر الاندثار. تاريخ الاسترداد: 23، 01، 2020، من موقع الشروق أونلاين: www.echoroukonline.com
- عمر أحمد مختار. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة، ط. 1. القاهرة، مصر: عالم الكتب.

- عومري عبد الحميد. (17، 11، 2016). التعليم الابتدائي في الجزائر بين المدرسة الفرنسية والكتاتيب القرآنية (1880-1914). *مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الواد، الجزائر، المجلد 02، العدد 05، الصفحات (246-268)*.
- فتحي عبد الحميد. (09، 03، 2018). *الكتاتيب في مصر (مكائنها، دورها، كيف ينظر إليها)*. تاريخ الاسترداد: 23، 01، 2020، من موقع شباب مصر: www.shbabmisr.com
- هنانو هاجر. (2016). *التعليم قبل المدرسة ودوره في تنمية المهارات المعرفية للطفل، دراسة مقارنة بين التعليم التحضيري والتعليم القرآني، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع، الجزائر: جامعة بسكرة*.
- وزارة الشؤون الدينية. (1406هـ/1985م). *آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ط. 1، ج. 3*. الجزائر: مطبوعات وزارة الشؤون الدينية.